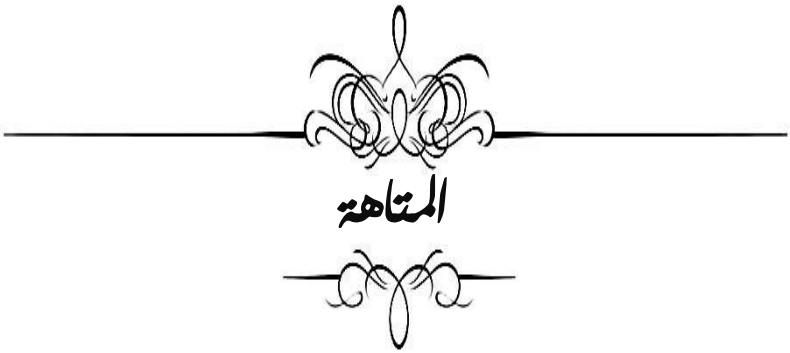

المتاهة

الكاتب: اسماعيل أحمد محمدي
المتاهة: قصة
تصميم الغلاف: محمد دربالة
تدقيق: بنت الزيات
إخراج فنيّ: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 26517 / 2017
الترقيم الدولي: 978 - 977 - 844 - 513 - 3

دار بنت الزيات للنشر والتوزيع :Facebook Page
E_mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

رئيس مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار بنت الزيات
المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

المتاهة

قصة

اسماعيل محمدي

الإهداءُ

تُبايعني كلَّ صباحٍ على الجوارِ الصَّامتِ..

تُجاورني مجاورةَ الأحبَّةِ الأوفياءِ..

تَنظرُ إليَّ وإليها أنظرُ..

صَديقتي الماضية... ضمنَ قائمةِ الموتى..

كلبةٌ عَسجديَّةٌ فيْ وادٍ غيرِ ذيْ زرعٍ..

صانعُ حرفٍ روحُ بسيطةٌ

الكعبة المشرَّفة – رمضان – 1439 هـ

متاهات الحبِّ حائرةٌ، شائقةٌ شيِّقةٌ، لا تشفع لمعتنقي الحبِّ أن يصلوا بسلامٍ، بل تزعزعهم وتأرجحهم بمتاهاتها، وهنا (أليف) يعاني متاهته، ينهض ويكبو، ويأمل ويتمَّنى...

لِنرَ ما فعلت به متاهته..

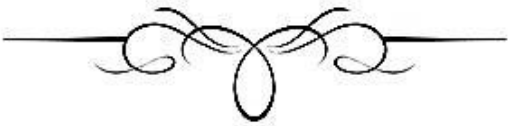

افتتاحيَّةُ المتاهةِ

مع أذان العصر في عام 1900م ألقت به الطَّبيعة في جبال المزرعة الكائنة بين أحضان يثرب.. استقبلته مشفى التُّراب النبويّ الطَّاهر..

حقاً يولد المحظوظون بهمزات وصلٍ غير مألوفةٍ..

وكأنَّ لهم مع الحياة قصَّةٌ قبل أن يولدوا...

هذا إذاً بطبيعته الجبليَّة الابتدائيَّة سيكون له شأنٌ رائعٌ ربَّما مع الأقدار...

أرضعته أمُّه الحنان في جحر جبال الفقراء على لبن الفقراء وسيريلاك الأيتام..

عفت نفسه الألبان واللحوم كلَّها وصار لا يهوى كلَّ طعام الألبان..

سمَّاه والده (أليف) وهو مع ذاك له من تسميته محيطٌ أكبر...

*** * ***

1

يعشق الرومانسيَّة بحذافيرها الرَّائعة..

يرى له حقاً في العيش تحت سماء الحبِّ..

يستغرق وقتاً غير محدودٍ في التَّنسيق لرومانسيَّاته اللامنتهى لها.

يرى في المرأة التَّقديس ولا شيء سواه.

فهو يمتلك روحاً راقيةً تؤمن بالأنثى كائناً حيَّاً له مقدَّساته ومعالمه الأنثويَّة السَّاحرة..

إنَّه لاشكَّ يعتقد إيماناً صادقاً بعبقريَّة صنع الله في الأنثى..

يراها أجمل ما خلق الله في هذا الفضاء الحالم....

حين تخرَّج من جامعته بالقاهرة وبلغ كما الرجال في الشَّباب، طُرحت له فكرة الارتباط والولوج في عالم اقتناء شريكةٍ طالما كانت هي مبتغى سعده ومبتغاه..

كان يحمل مهنة التَّدريس على عاتقه فهو ابن كلِّيَّة المعلِّمين، حين خرج لساحة العمل لم يجد ملاذاً من أن يترك التعليم وراءه ويعمل في مجالٍ غير الذي تخرَّج منه طوال أربع سنوات.

2

كان له فتاةٌ في القاهرة تدعى (رائدة)، إنَّها جارته التي كانت تلتفُّ حوله بكلِّ ما أوتيت من رحمةٍ له..

غير أنَّه كان لا يعبأ بهاولا يلتفت لما تقدِّمه له....

ظلَّ يبادلها التَّقدير والاحترام على مشاعرها التِّي تتحفه بها كلما جمعتهما الأمكنة والأزمنة تحت غطاء الصُّدفة...

كان شعاره معها : منِ اختارنا فلا بأس بشكره ولو بنظرةٍ حانيةٍ في مهبِّ ريح الوفاء.

وهو كان يرى أن المحبَّة تُقذف في الأرواح دون تصرُّف المرء فيها فلا جدوى من (رائدةٍ) لم يقذف في جنانه حبُّها...

3

اختارت له إحدى قريباته (سلافة).

سلافة تلك توحي إليك لأولِ وهلةٍ أنَّ عندها مفاتيح الطمأنينة، وأنَّها هي من كان عنها أليف يبحث ،،

فهي ذات ضوءٍ بهيجٍ وطلَّةٍ آسرةٍ ،،

ذهب أليف إلى حيث قادته الأقدار الإلهيَّة لتضعه عند قدم امرأةٍ شابَّةٍ ترتدي ثوب النساء..

تضع شالاً ورديا على شعرات رأسها... تبتسم بصمتٍ.. تتكلم بمقام موسيقيٍ.. تحكي بصيغة اللامفهوم...

هو (أليف) يرى للمرأة قدسيَّتها.. فهو يقدِّسها طفلةً وفتاةً وأمّاً وجدَّةً..

يقدِّس ذاك الجنس المخلوق.. يرى فيه عظمة الخلقة والصَّنعة الإلهيَّة..

هكذا منذ ولد يقدِّسها بكلِّ وسيلةٍ..

ذهب ليربط قلبه بواحدةٍ من تلك المقدَّسات التي جبل على تقديس معالمها وأنوثتها..

طالما منَّى فؤاده بمملكةٍ من الحنان المتوفِّر في أنثى تكون له وحده ويتابعان الحياة بانصهار الحبِّ بينهما...

حانت ساعة الالتقاء فالتقى معها تحت إضاءةٍ شديدة الانبعاث وجلسةٍ مكشوفةٍ لا يستطيع معها أن يغلق على حوارٍ شيّقٍ متعدِّدِ الأحوال.

كانت صامتةً.. كان يراجع معتقداته عن الكائن الأنثويِّ الذي رسمه في عقله وزرعه في روحه..

بدأ يحدِّثها بدأت تتجاوب قليلاً. .

اختصاراً وقدراً.. لم يتفقا.. اختلَّت معلوماته وبدأ يراجع مهرجاناته..

انتابته نوبةٌ من الغربة من سخافة اللاأنوثة.. سخافات أشباه الإناث ومحطِّميها..

فقد سيطرته حتَّى على نفسه.. فما أهون من رجلٍ يسقط من أحلام امرأةٍ ويفشل في إرضائها...

أليف رجلٌ يعشق أن تكون له في الحياة واحدةٌ من أبطال الحبِّ تفهم عينيه المتكلِّمتين وتستدرج الذي بقي من أسرار في كنهه..

يحلم بأن يكون بطلاً لامرأةٍ لا تعرف سوى الحبِّ..

تكون حياته ويكون حياتها..

انتهت صفحةٌ مع السيِّدة المتحوِّلة..

4

ولأنَّ المرأ يحتوي على نسبةٍ عاليةٍ من دهونِ الحزن وحبيبات الحبِّ الجارح وقليلٍ من الأفكار المترهِّلة وشيءٍ بسيطٍ من الأمل حال فقدان الحبِّ...

أصبح أليف يتقلَّب حزيناً كسيراً..

كيف له خسر قلباً كان يهوى جواره..

وكيف لرحمتها التِّي سمع عنها منذ صغره تتخلَّى عن رجلٍ شابٍّ طمح في حبِّها وعزف على كسب رضاها..

كيف لتلك الآنسة أن تضعه صفحةً من الماضي دون رحمةٍ أو تهاونٍ..

فكَّر واستطاع أن يحصد التجارب...

أنَّ الله قدَّر المقادير وخلق الرزق مع العبد، وأنَّ أنثى تركته ليس يعني ذلك نهاية الحياة، والدنيا ملأى بالنساء أهل الحبِّ والخير والمجد والعطاء،غيرها كثير وللنَّصيب موعدٌ مع أخرى أكثر حبّاً وأروأ ماءً وأقوى عشقاً ودفئاً وجمالاً.

5

سيدرك مع الأخرى مفارقات الإناث وأشباه الإناث وستكون أمَّه وحبيبَته وشريكتَه الأحلاميَّة..

أدرك حينها أنَّ الحبَّ يجب أن لا يمنح إلا لمستحقِّيه كما لاندفع زكاة المال إلا لمنتفعيه، فكذلك الحبُّ لا يوضع إلا عند مستحقِّيه..

أدرك أنَّه لم يخسر بل ربَّما هي من كانت خسرته فهو تعامل معها كطفلةٍ مدلَّلةٍ واحتضن وحدتها وقدَّم لها أمتع التَّضحيات الرجوليَّة لأنثى لا تعرف غير الحرمان...

أدرك أنَّ خيراً ما ينتظره.. فتح آفاقه وحطَّم قيوداً لاعشقيَّة..

آمن أنَّ الله يرى كيف كان إخلاصه بها وهي كانت لا ترحمه..

قالت له يوماً : أنا لا أثق في رجلٍ...

كانت بمثابة أكبر إهانةٍ تقولها أنثى في وجه أقوى حبٍّ خالجه..

قال لها : ولأنك امرأةٌ نقيَّةٌ فأنا أثق في النساء مثلك..

إنَّها عقيدته لا تتبدَّل عند أليف...

هو يرى في المرأة صغرت أم كبرت مستوىً ملائكيَّاً في الأناقة والوفاء..

قال لها : أنت مكسبٌ ومربحٌ لجميع الرِّجال أيَّاً حاز حبَّك ربح لاشكَّ...

ابتسمت بسخفٍ متردّدٍ ومتمرّدٍ..ما أسخفه رجلاً يرجو بركة معرضةٍ عنه ويتوسَّل لمن لا روح لها ويبكي عند من لا ترحمه

ما أقسى الحياة على رجلٍ ظلَّ ينادي لأنثاه بالحبِّ والرحمة ويقول لها كلَّ صباحٍ ومساءٍ :

حبيبتي ما أسعدني بك، كوني معي كل يوم خمس مرات كما نصلي خمس صلوت.

ثم تقول له : لا أريد...لا أثق في حبٍّ..لا أرغب..

إنها معادلة الفرق بين الحبِّ والهشاشة..الصِّدق والرخاوة.. الوضوح والغموض.. النَّقاء واللانقاء .

6

ليس للمرء حيلةٌ إن أحبَّ قلبه من لا يستحقُّ..

لكنْ علينا أن ندركَ بعد ثقتنا بالله أنَّ من سقطنا في محبَّته وحَرمنا وصله فالله خير مبدِّلٍ ومعوِّضٍ، وأنَّ غداً أجمل من الأمس وأنَّ مع العسر يسراً..

أدرك أليف أن لا مفرَّ من فراقها بعد أن أكَّدت له المقادير أنه رخيصٌ بين يدي تلك.

أنَّ النجوم ما عادت تقدِّر وجوده، أنَّ الوداع هو الطَّريق الأوحد وأنْ حان موعده.

أنَّ عليه أن ينسها أو يتناسها مبدئيَّاً من مهجته من حياته ويتقيَّأ من معدته ودمه وكلِّ أعماله ومطالبه حبَّها..

ما أبشع أنثى تتمردُّ حتَّى على نفسها، وأبشع منها أن تجرح من أحبَّها، وأكثر بشاعةً أن تتفننَّ في إغوائه وأن لا ترطِّب مسامعه بوردة وداعٍ تعيد له قيمة نفسه ورجولة موقفه.

كان قد أرسل لها أليف باقة وردٍ يطلبها أن تجيزه الحبَّ.. وقطعةً من شوكولا فاخرةٍ لتتذوَّق كيف أن الشوكولا حين تدمج بالحبِّ تصبح فواحة رجلٍ وامرأةٍ على جناح طائرٍ أبيض..

كانت أمامه ذات مرَّةٍ. كانا يجلسان على تربةٍ أسفنجيَّةٍ مغطَّاةٍ بحيرة الحزن العميق..

قدراً كان أمامهما آية من أسمى آيات الحبِّ القرآنيِّ على جدار مبطَّنٍ بالبياض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودةً ورحمةً)

قال لها : من أين لنا مثل هذا؟ أين هذه منك ومنِّي وأين نحن منها ومن المودَّة والرَّحمة ؟

سحقاً لإناثٍ لا يقدِّرن الحبَّ.

7

أ جزاءُ من وضع لنا بسمة الطَّريق أن نبادله شوكاً في كلِّ منعفطفات حياته ؟..

كان أليف قد حكى لزملاء عمله أنَّه على موعدٍ مع سلافة الحبِّ قد يرتبط بينهما.

وليته ما حكى لهم ورطة عمره المؤنَّثة..

سألوه كيف كانت؟ لاشكَّ أنَّك ستنحر لنا جملاً وتعلن منه سعادة اقترانك وستمنحنا مائدةً من قطع الكيك والحلوى الشَّهيَّة التي تليق برجلٍ مثلك وامرأةٍ مثلها..

صمت حين سألوه.. ثم نظر إلى الأرض كما هي عادة المحزون في أيِّ زمانٍ ومكانٍ..

كان لا ينكِّس رأسه من قبل، لكن الزمان المتحوِّل أحاله بعد الهزيمة الاستبداديَّة المسلَّحة بالزهد لناكس الرَّأس.

ثم نطق أخيراً : لم نتَّفق، لسنا أهلا لبعضينا..

كان حائراً متخبِّطاً، إنها انهزاماتٌ يبدو أنها مزمنةٌ.

كم هو الحبُّ مخزٍ في تحوُّلاته

هل العرب فشلوا في الحبِّ

أم أنَّ الحبَّ مرحلةٌ سماويَّةٌ لا تمنح لأيِّ رجلٍ..

مكث أليف يتأمَّل حال الرَّجل الأعزب اللازوجة له ولا صاحبة..

كم هو مسكينٌ حدَّ اليُتم..

ألا شريكة له تنجيه عذاباً وحزناً..

تحدث له المفاجأة فيمسك بهاتفه الأعزب مثله كي يحدِّث فتاته، هو ليس لديه فتاةٌ غير أنه يمنِّي نفسه بالحديث معها، هو بالأحرى يمثِّل لكنائس الحبِّ، ثم بعد أن يمسك هاتفه الحزين تبدأ يده تفتر همَّاً أن لا أنثى معه.

يعيد هاتفه تعود عليه سعادته نقمةً.

وأيُّ نقمةٍ تعدل عدم المشاركة..

تمرُّ عليه النكبة فتصير نكبتين : النكبة ذاتها والأخرى نكبة اللامشاركة..اللاوجود..

يعيش ذاك الإنسان على حافَّة الهاوية أو هو أقرب للأموات الأحياء والأحياء اللاأحياء.

الذين ليس من حقِّهم المعايشة والدُّخول في جنَّة الدنيا... فهم يُردُّون من أضيق الأبواب..

بدافع النَّصيب.. ضعف الموارد.. بحجَّة أن لا بنك لهم ولا مال.. بدون متاعٍ..

حُكمَ عليهم بالإعدام كتلةً، لا يملكون حقَّ طفلٍ يتفنَّن في مناداتهم ب : (أبي)....

يمكثون السنينَ الطوالَ في البحث عن شريكةٍ دون جدوى..

وفي المقابل : يلقاه المجتمع بأفٍّ لك ولوحدتك...

8

أخيراً قرَّر أليف الحبّ أن يثور على كلِّ ما حطَّم حياته.. ثورةٌ ضدَّ الأنثى الوهْم..

قرَّر أن لا يفكِّر في الذي مضى وأن يجعل لحياته محطَّةً أخرى أرقى أسلوباً ومعالمَ....

ما الجدوى حين تصادف أنثى لا علاقة لها بالحبِّ الذكوريِّ...

لا شهيَّة أو شهايا تدفعها نحو رجلٍ متودِّدٍ...

في حياته الجديدة...

غيَّر عنوانه وبدَّل توجُّهاته..

كان بمثابة إعلان حربٍ على كلِّ الذي زلزل رجولته قديماً...

شمل التَّنوُّع في حياته سيَّارته.. وسادته التي يئنُّ عليها آخر الليل..

طريقة نومه.. لون قميصه وعطر جلده المتوهِّج... بل حتَّى عمله قام بتغيير نشاطه...

كان في كلِّ يومٍ جديدٍ يفقد حزناً ويرفع سعادةً.

فهو الرَّجل الضَّحيَّة ولا يريد تكرار ضحايا مؤنَّثة..

كان ينتعش كرجلٍ فاز في معركةٍ ضدَّ الهزيمة..

لا وجود لأنثى تزلزله من جديد... احتسى كوباً كاملاً من الليمون المرّ والمرير بلا سكَّرٍ مضافٍ.. كنتيجة للتغيُّرات في حياته.. تمهيداً لأيّ كأسٍ مرٍّ قد يلقاه في حياته...

تمرَّد أكثر وأكثر على كلِّ سالف دمَّره وأقعده..

في مساء يومٍ جديدٍ استيقظ من غفوته العميقة.. على تفكيرٍ شلَّ أرجاءه...

كيف يكون انتصر في معركةٍ مع الأنثى وهو لايزال كلَّ يومٍ يغيّر من حياته لأجلها..

كيف وهو في كلِّ تصرُّفٍ يبدِّد عقله ألف مرَّةٍ ليثبت وجوده كرجلٍ غير مهزومٍ..

كيف لحياته تنحصر في زجاجةٍ من الليمون الكاسد لسبب أنَّه خسر فتاةً

لا تشفق أو تشفي..

وهنا معادلة الحقيقة التي اكتشفها بعد عناءٍ..

إنها الأنثى بوجودها في الطَّبيعة من حوله وفيه.. الأنثى التي كلَّ يومٍ تلاحقه في عقله.. الأنثى المخلوقة التي شرعها الله ملاذاً لكلِّ رجلٍ متوحِّدٍ في رجولته.

9

عثر على (إلهامٍ)...

هي شاعرةٌ غامضةٌ... لا تكاد تسمعه حرفاً إلا بتكرار السَّماع من فيها..

شعر بأنها هي التي كان يبحث عنها حيناً من الدَّهر القديم...

مكث معها عشر دقائق يتحدَّث وهي تلتقط الأخبار من فيه المتلعثم...

تحدَّث معها عبر حوارٍ هاتفيٍ فأدرك مفاجأة أنثى أخرى أكثر جنوناً وغطرسةً...

فالصامتة التِّي كان لا يسمع من ذبذباتها إلا حين تُكرِّر السماع..

أضحت وكأنها تصلح مذيعةً إخباريَّةً لأفخم قنوات الأخبار...

إملاءاتٌ أنثويَّةٌ تضمن حقَّ الرِّعاية ولا ضير فالشَّريعة ضمنت للأنثى أن يرعاها رجلٌ حقَّ رعايتها وأن لا يحيد...

وأن يمهلها كي تعيد النظر فيه وفي الاقتران به...

لكن أن يكون له من البنوك الذي لقارون وداره ومفاتيح قصره وخدمه وحشمه فهنا المفاجأة...

زلزال آخر على أليف الذي أحبَّ الأنوثة وأعلنها في كلِّ كتاباته...

مكث ستة أشهر غريباً عن داخله..

جريحاً من شيءٍ يدعى الأنثى...

ظلَّ يواصلها ويمتثل للشَّفاعات من حولها أنَّ قلباً ما عشقها حتَّى في أسوأ تكبُّرها وتمرُّد روحها..

لم ينظر إلى مساوئ أفكارها بقدر ما عثر على فتاةٍ تقيم له وزناً ويمنحها كذاك...

في لمحةٍ من الزَّمان الفارغ بينما كان يوم الجمعة موعد سفرها إلى عالمٍ بعيدٍ..

وهو يستعدُّ قائماً خلف إمامه يُكبِّر تكبيرة الإحرام...

جاءته رسالة بريدٍ في هاتفه الأعزب...

أدرك أنَّها من تلك..

لم يشاهدها حتى لا يفقد خشوعه..

كان في صلاته يتوسَّل لربِّه أنْ عظُمت البلوى في زمانٍ لا إناث له فيه...

نعم فالمرء منَّا حينا يفقد أنثاه يضحي وكأنَّ الحياة توقَّفتْ ولا أنثى ستكون له مطلقاً بعد ساعته تلك...

انتهى من صلاته وسلَّم.. وذكر الله...

فتحها فإذا بها طلقةٌ في جرح المشاعر وفي ساحة إنسانٍ فقيرٍ..

(لستُ لك ولستَ لي)...

أتبع الخجل بركعتين خشية أن يذبل في موقعٍ لا ينفع معه الضعف..

من حينها وهو لا يعبأ بها ولا يرى لها مثقال ذرَّةٍ من محبَّةٍ..

10

كان أليف شابّاً تزيّن وجهه ملامحه المتوسِّمة والوسيمة..

من يعرفونه يغازلون رموشه بأن يقدِّموا له استفساراً عن كيف لجماله أن لا أنثى له؟

كان يتقمَّص مطلع رجلٍ لا يبالي ودواخله قطعة لهيبٍ لا تتوقَّف عن القرح في أعماقه..

اعتكف قبره الحيّ.. تمدَّد أسرَّته المتمدِّدة كليلِه.. يمتلئ قبره بمجموعة أسرَّةٍ كئيبةٍ.. كلَّما خسر أنثى أضاف سريراً وألحقه باسمِها.. لكنَّ سريره الأحدثَ كان بمثابة مريءٍ محترقٍ لن يفيق إلا على محراب القيامة..

لا يريد أن يعمل عقله في أيِّ شيءٍ سوى الغيبوبة.. غيبوبة محو آثار السجَّانة التي سجنت روحه في الغمِّ..كان غاصَّاً لا يمتلك سوى غصَّته المتسلِّطة..

11

فتح إذاعة التُّعساء فإذا بالمطربة تشجي بلهف المرتجف المتعثِّر

أيُّ بؤسٍ أن تسمع كهذه حال احتضارك. .

أنهى تلك الطَرِبة في سوداويَّتها المثاليَّة في لحظة الحسم..

لعلَّ أن يغازله بعدها نسجٌ أكثر سعادةٍ يزيل عنه احتقان حبٍّ ليس إلا هشاشةً واهيةً..

نسجٌ يُعزّيه في وفات أنثاه عن حياته وغروبها عن جواره...

فإذا بصوت عندليب الخليج يدندن لحبيبته المفارقة

لأولِّ برهةٍ يدرك أنَّ للحبِّ سياسةً كما باقي فنون الإنسان..

هو يظنُّ أنَّ الحبَّ مغناطيسٌ عند كلِّ الفتيات..

يا لبؤس عاشقٍ بلا أملٍ.. كلُّ أغانيه شجيَّةٌ حدَّ البكاء...

فهذا ينعى فقيدته وتلك تنعاه ولا ملامح ظفرٍ أو كسبٍ لكلِّ حامل حبٍّ واهٍ..

انتابه استفهامٌ.. هل حقَّاً لا حبَّ للعرب في عمر التحضُّر ؟

أم أنَّه أسطورةٌ خياليَّةٌ يحكى عنها كحجا الذي نسمع عنه منذ مرحلتنا الابتدائيَّة والبدائيَّة في حياتنا الأولى.. جحا الذي لم ولن نره مطلقاً..

عطَّل مسمعه بحشوٍ من السلوفان.. هو لا يرغب في أيِّ سماعٍ..

يريد تعطيلاً لأذنيه كي يفرغ ما غشيهما من هزائم..

قام ليكسر صوت إذاعته التي لا تبثُّه سوى سموم الحبِّ وبقاياه.*.

*كنت بصدد الاستشهاد بغنواتٍ أجنبيَّةٍ وعربيَّةٍ اعتباراً بعذوبة الألفاظ وجمالها لا بحرمة غنائها ومعازفها، لكنَّ من القرَّاء ذوي خفّة الظلِّ من سيستمع لتلك الأغنيات ويدفع بي لنار جهنَّم فخشيت على لحمهم ولحمي من أن تمسّنا النار.

12

في الصَّباح بوجهٍ شاحبٍ وجنونٍ متكبّرٍ.. عاند ذاته وفتح مذياعه السّواديّ كروحه المتذمّرة..

علَّه أن يلتقط شفرة سعادةٍ ولو من إعلانٍ كاذبٍ يطعمه روحاً متجدّدةً..

يريد حلَّ مصائبه مع الأنثى..

مع نفسه ..

فهو بين غابةٍ لا ترحم أن يبكيَ رجلٌ من هجر أنثى..

ولو علم أحدٌ بتشبُّبه وغرامه بامرأةٍ تصدُّ عنه ربَّما لأعدموه شنقاً ولم يُصلِّ عليه أحدٌ...

إذ عادتهم أنَّ الحبَّ جريمةٌ يعاقب عليها العرف الرجوليُّ.. وأنَّ الرَّجل حين تُجنُّ فتاةٌ وتقترن به فإنَّما هو الصُّلب الذي لا يُكسر.. فكيف له أن يشكو لرجلٍ من رجالاته معاناته مع أنثى مغلقةٍ عنه..

كيف لرجلٍ سيّء الحظِّ أن يتبنَّاه أحدٌ..

من ذا يدرك ضيق أفق رجلٍ أعزب مزمن الوحدة.. وهو امتثل لأنثى لم تمنحه حتَّى حظَّ الجوار.. بل قيَّدته في معصمها كما العبد عند سيِّده..

هل من عادة الأنوثة الحانية أن تُكبِّل رجلاً تاه بين شوارع كنوزها وحضارات معالمها..

13

كان يدفن بلواه في كينونته خشية أن يطَّلع على زلزاله رجال القرية فينهوا حياته بتهمة حبِّ أنثى...

ظلَّ يئنُّ وظلَّ يركن لعزلته ولا كون يسمعه أو نداء يسعده..

كيف إن واجه الرَّجل المكبَّل عُرفاً ينبذه على حبِّه وأنثى لا ترحم سقطَته في كُنهها..

قرَّر أخيراً بعد حوارٍ غير مثمرٍ مع روحه أن يفتح مذياع الجفاء من جديدٍ...

إذ بصوت أنين صباحيٍّ هامسٍ.. أنينٍ عان ظفر أخيراً بحبٍّ وأملٍ..

تعاطى قرار الانقلاب على محيط إناث جنسه.. وأنْ يمعنَ البحث عن أيٍّ غيرهن حتَّى وإن لم تك من بني جنسه فكما للإسلام أخوةٌ فللأنثى بدائل أنثويَّةٌ أقرب منه حال تعثُّر بنات جنسه..

كان يتذمَّر كما رجلٍ بلا مأوى.. بلا عقيدة أنوثة تحثُّه وتؤمُّه..

كان الفقد بلا معينٍ..

التقط أعماقه باستراحةٍ ذكوريَّةٍ.. مستأسدةٍ..

كأنه يقيم رجولته قبل أن تكون..

أو كأنه يعيد بثَّ الروح لرجولته المستعصية في مملكة الأنثى الواهية..

ينظر لمرآته الغائمة كما لو أنَّ سجيناً يطالع قضيَّته ورحلته نحو اليتم..

كتائه سرابٍ يرغب في القيام من نكسته النَّفسيَّة الماحقة لبركة عظمة فتوَّته.

كان يردِّد : أنا موجودٌ أنا أتنفَّس..

يتلمَّس أجزاء جلده ومساماته يريد إثبات أنه مازال في دائرة الأحياء اللاأموات.

14

أدرك أليف اللاأليفةَ له..أنَّ الذي يدعى الحبَّ هو عمليَّةٌ معقَّدةٌ قد تجتاح فينا لأعمق ممَّا نتصوَّره..

استسلم للضَّياع فما الذي بيدِ طريدٍ أن يفعله..

كان كلَّ يومٍ يمضي عليه بمثابة مقتلٍ بطيء المراسم، كيف لا وكلُّ إناث العالم غادرن طبائعهن (في نظره) إلى سيِّئات أنوثاتهن..

في موعدٍ بلا ميعادٍ وفي مساءٍ حالمٍ، الانتظار المرهق لكثيرين ممن لا حبَّ لهم حول الكرة المتجمِّدة التي نحياها بآهاتنا.. بينما كان يتصفَّح اتِّصالاته ويدقِّق ملاحظاته، إذ بأنثى الصدفة (جوهرة) تخترق صفحات انعزاله وفي حالةٍ غير مسبوقةٍ في العاطفة اللاحسبان لها..

بدأت قصتهما كعابري سبيل حبٍّ، وضعت له براهين أنَّها لا تعرفه وإنما قدر الطَّبيعة أن تجمع المُصابين بالمُصابات.. أنْ تصمِّم لهما موعداً مع اللقيا غير المنسَّقة.

15

بفعل خيوط المباغتة وبحلول موعد التَّنفُّسّ معاً تحت غطاء المعرفة وإشباع أزمة نقص أوكسيجين الحبِّ في الشرق الأوسط الفقير حتى في أبسط حقوق البشريَّة.. تعمَّقت أواصرُ العاطفة بينهما..

لم يكن يستطيع أن يحدِّد نوع المشاعر المنسابة منه تجاهها أهو حبٌّ أم اجتياحٌ عاصفٌ أم إرضاءٌ لغروره المنسكب على أرضيَّة الهزائم المتتابعة له مرةً بعد أخرى في سبيل الحبِّ..

صارت له أمَّاً وناولته كلَّ معاني الأنوثة الرَّحيمة التي تمنَّاها لنفسه وأحبَّها قولاً وفعلاً وسكناً له، لم يحبَّ أنثى كما عشق فنَّها ورقَّة وسلاسة ورودها، كانت تغرِّد لصباحه وتبتسم لمسائه وتتعاهد ضعف حالاته التي أضاعتها منه أنثيات أخر سبقنها إلى عرش اهتزازه.

16

أهدته باقةً حمراء كقلبه المفعم بطغيان الانجرار خلف العشق وصارت تملأ فنجان حياته ولا تنقطع عن وصاله أيَّاً كان ضيق أفقها...

وهو كذلك ما كان يملك أن يجد سمكة ظلٍّ يبحث عنها ما يقارب أربعة أعوامٍ وبلا ساعة اتِّفاقٍ يلتقطها في عينيه بذهولٍ مفرطٍ..

صار يبرق لها مع شروق شمس الضُّحى وغروب شمس المساء ومع سقوط النَّدى وإقبال ليل الدَّفى..

صارا كبدة غزالٍ متَّصلةٍ بلا افتراقٍ..

كان يعجبها في رجولته المتقلِّصة رغبته في الحفاظ على إحساس الأنوثة وقمَّة تقديسه لإنسانيَّتها الحانية..

وكان يأسره لها ما لقيه من متابعةٍ وحسن معشرٍ في حقه وفائض صراحةٍ بين يديه وأنَّها أضحت غريمة دربه وتحت تصرُّفه..

كان أثناء احتضانها لضعفه واحتضانه لها يتودَّدان كحمام الحبِّ الأبيض في الشِّتاء.. لو جمعت حبَّ الرَّجل للأنثى وحبَّها له في اثنين

بالحياة من أولِ الظُّهور لآخر الغروب ربَّما ما عثرت لهما مثيلاً ولا لجنونهما شبيهاً..

ذلك لأنَّ كلّاً منهما عبد الحبَّ في تصوُّفات فصوله وهيام أصوله..

ولا أسوأ من ضدَّين يلتهم حياتهما منعٌ يتبعه انفجارٌ بلا تفكُّرٍ ولا أشدَّ من عاشقين التقيا صدفةً تحت راية التَّجميع الكونيّ وغلبتهما حدَّة الشَّغف بالآخر في انبعاثٍ أرحبٍ..

17

كان هو على صراطٍ مستقيمٍ لم يجنح في حياته إلى تآلفٍ مشبوه المقاصد..

وكانت هي من خلال ما تبعث له من مثيراتٍ إسلاميَّةٍ تعي نضج دينها وبعدها عن ريبة الفجور..

تحت خدر الحبِّ وسكرة الانجذاب وضمان السِّتر الإلهيِّ واستجابة القدر وتعلُّق الأرواح ومعايشة الألفة قرَّرت له موعداً للقاء الأفئدة في ظلِّ عالمٍ مضطَّربٍ أقصى حالاته...

احمرَّت أوداجه واضطَّربت دقَّاته وكأنَّه في غرفة انتعاشٍ مؤنَّث..

سألها : لماذا نلتقي يا جوهرة الصدفة ؟

أريد أن أمنحك ورداً وبرقيَّة مراسلةٍ وأقصُّ لك حكاية عشقي لك على بساطٍ من قرب الحبيبن بين الحبِّ...

وهو في حالة خشوع الحبِّ وخشيته الفجائيِّ المنتظم الدَّقَّات...

كان يفتح عينيه الحائرتين الجائعتين على صورة العشق الذي كاد يلتهم مدَّخرات عقيدته ويتأمَّل فتاته الرائعة ويبدأ صراع الحقِّ والباطل في دواخله...

فأليف ابن الدِّيانة والعادة المحافظة ولا أنثى في تحفُّظاته تؤخذ سراً مهما كان الحبُّ مقدَّساً ومهما يكن من صفاء النوايا وحسن الأخلاق.. كما أنَّ ليس من شهامة الحبِّ أن يُسرق الحبَّ ليلا كي لا يُعرف نهاراً وليس كذلك من عاداته أن يكون في الخلويَّات والمراسلات بعيداً عن النُّور والحقائق...

18

ثم كيف لو التقيا ليفكِّكان وينزعان كلَّ براءتهما التي ولدت معهما في سماء الأصالة..

قرَّر تأجيل موعد الحبِّ المريب..

كلما جاءا ليلتقيا خرج له المؤمن الذي فيه وحذَّره لقاءً تحت ضوء اللهب قد يدفعه لزلزالٍ من أسفٍ..

هو كان يعتنق مذهباً وهي كانت تؤمن بآخر غير أنَّ كلَّ معتقدٍ كان يجرِّم لقاءً من دون رخصةٍ شرعيَّةٍ أو كتابةٍ محكميَّةٍ..

سألها ليتأكَّد من علمه المقتصِد : هل الذي نفعله من شعاراتٍ يسمح به معتقدُنا ؟

كانت تتأفَّف وكان يتأفَّف كما طفلٌ وطفلةٌ حول باب الحرمان من مصروفيهما المسائيِّ لشراء قطعة ايس كريمٍ باردةٍ..

نعم فأحكام الشريعة نتمنَّاها حيناً من العمر تمضي لأهوائنا وتسمح بتقلبَّاتنا..

حاورها بعقله بينما كان قلبه يتألَّم لرفضه ثروة النَّهم المتوفِّر في أعماقيهما..

19

همس لها بكلمٍ عميقٍ، لا توتُّر كتوتُّر رجلٍ أمام أنثى شُغف بها حبَّاً، وشُغفَ بها قرباً وتحبَّب لها عشقاً : جوهرتي المصونة إنَّني أقدِّم الحبَّ لك معترفاً أنَّك تسلَّلت إليَّ في موعدٍ مع القدر الماتع، وأنت يا أنثاي الجوهريَّة منحتني العشق نكهةً لا تستهان، فيا سيِّدتي ربَّما لو التقتْ أجسادُنا تذوب كما الثَّلج تحت ماء النهر...

كان يجهش ويرتِّل باكياً : أعلم أنَّ الحبَّ قاسٍ وللرَّغبة محرابٌ وللفضاء جفاءٌ يحتم علينا أن لا نفرِّط في ذواتنا الهياميَّة حبيبتي..

كانت تشهق وتزفر ولا يسمع منها سوى أشجانٌ مكدَّسةٌ تحت عالم المحظورات..كانت ترتجف لحبيبها أن لا تبتعد...

دمِّر كل معتقداتك القاسية في زمن تحوَّل إلى منعٍ وهجرٍ..

حبيبي أليف : بحثنا طويلاً عن العشق في عالم الخيانة ولن نجده، كيف اليوم وبعد أن تملَّكنا الانجذاب وغزانا النَّهم أنْ نرحل لقيودٍ واهيةٍ ؟..

نحن في معرضٍ للفجور والفسق إذ كيف أنَّ الدِّيانة تحضُّ على العفَّة والسِّتر وفي كلِّ بيتٍ نجد معجزاتٍ لإبرام عقود الحبِّ بين المتحابّين..

كيف للحبِّ في عهد ما بعد النُّبوَّة وما بعدها من التحضُّرات أن ينحصر في قريبٍ منبوذٍ أو اشتراطاتٍ جهنَّميةٍ وكأنَّنا في ديانةٍ أخرى...

أليس هذا انفصالاً عن الواقع ؟

كيف لي أن لا أحوز متعة القرب التي كفلها الدِّين لي بسبب أوهامٍ سيِّئةٍ؟...

20

كانا يبكيان..

تماسك رجولته وهدأ لوعاتها الناعمة وصعد بها إلى السماويَّة التي كانا يتفقدَّانها ويفتقدانها تحت جموح الفسق..

أخبرها أنَّ حبَّهما لن يَرضَ له بأن يأتيَ يوم البعث وكلٌّ منهما ضدٌّ لحبيبه...

فالحرمات سيِّدتي تلتقي بالختامِ لتحال في هيئة عداواتٍ..

أقنع جوعها أنَّه لا يرغب في إبعادها عن الرِّضى الرَّبانيِّ والجنان العالية ولا يريد أن يكون من سيِّئات فجورها ولا أن تتحوَّل إلى حبل إبليسيَّته وتكون هي مدخل شيطانيَّته...

كانا يذرفان اللعنة على معتنقينَ للدِّيانة بلا وضوحٍ.. كانا ينعيان الفطرة التي عُطِّلت في زاوية الكذب.. كأنَّهما في مدينةٍ متحجِّرةٍ جاهليَّتها أكثر فجوراً من عصر ما قبل البعثة...

أدركت مع دقَّات العمر أنَّ الشفقة منحته رحمةً : أن لا ينزلق لمراتع الهوى الأبتر...

عرّج بها نحو سموِّ الرُّوح بعيداً عن شهوات الفجور...

بنبرةٍ منمَّقةٍ رَفعت له آية الأدب في رجولةٍ قدَّمت لها طهر العفاف وأعادت للأنثى شرفها الذي لا تملك سواه، وللرُّجولة قدرها الذي لا ينفكُّ عن علاه...

21

فقمَّة التقوى أن تئد ناراً من الشَّهوات مستطيعاتٍ لخوفك من الجليل...

تحوَّلا لشيخين معاً : شيخٌ وشيخةٌ، حتَّى غادر الغليان قلبيهما وهدأ سعار الحرمان..

تذكَّرا حديث الثَّلاثة الذين أطبقت عليهم صخرة الغار فتوسَّل كلُّ واحدٍ من ثلاثتهم بعملٍ صالحٍ بيّن..

فكان من أولئك النَّفر الذي كان له ابنة عمٍّ كان يتذوَّقها حبَّاً أُشرب روحه ودمه وعروقه ثمَّ تذكَّر أنَّ الله يرى فقام عن (عذاب جهنَّم) مخافة الله...

كشف لها الحجاب عن حبِّه لها وأنَّه يريد أن يأتيا يوم البعث فينظر الله لهما رحمةً ويشكر لهما - سبحانه - حفظ الحرمات والأعراض المهشَّمة...

اتفقا على دفع فواتير العالم الذين يسكنانه على أن يتقدَّما بشكوى لله ربِّ العالمين يوم اللقاء الأخرويّ عنوانها (بأيِّ ذنبٍ حرمنا) ؟

22

كسر حاجز الضلال وحطَّم هاتفه ومزَّق عناوينه خشية أن تهبَّ النيران في فحم الحرمان فيقضي على ما تبقَّى لهما من عرى الاستقامةِ..

لكنَّ الختام بينهما كان مجموعة طهاراتٍ لحبٍّ عنوانه : (إنَّا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً)...

وكعادته حين يخسر أنثى أن يضيف أريكةً لأرائكه التَّالدة يُمجِّد بها أحزانه : أضاف أريكةً وألصق عليها (ولا تخزني يوم يبعثون)..

كان مجموعة تردُّداتٍ وتشاويش واضطِّراباتٍ فكَّر كيف أنَّه عثر على مراده وتعنَّت له مقادير الدِّيانة ؟

وكان ما يسعده أن قرَّر الانتصار على حرماته ونزوات رجولته التي لن تهزم تارةً أخرى تحت أيِّ أنثى بعد تلك...

23

ثم نورٌ أتاه حين دُعي إلى مناسبةٍ تتضمَّن أنثى سيراها وتراه وإن قبل وقبلت يعلن الحبُّ مُشرعاً على أسوار الصِّين وحدائق كاليفورنيا التّي لم تزهر منذ فترةٍ...

اتَّجه لقصقصة شعره الذِّي أفسدته وحدته وصبغ أحزانه بلون البهجة والتحف قطعةً كاسيةً يقال إنَّها تعجب الإناث ومنح لهندامه قنينة عطرٍ كاملةٍ كي تراه منتظماً فتجيز حبَّه

التقيا وطالعها بعينيه ثم أبدى قبولاً بدائياً وابتدائيَّاً بها...

انحنى لداعيه وهمس في أذنه اليمنى بالإيجاب الأولِّ فكان أن قام إلى المؤنَّثة على الفور يريد أن يقدِّم له السعادة والبهجة ولا يريد أن يظلَّ حبيس الإناث أكثر من الذي فاته...

لم تكن تعلم أنَّ رجلاً ما سيراها دون علمها.. عدَّت ذلك تجاوزاً غير مستحسنٍ إذ كيف يراها قبل أن تعلم أن عينيه ستحدِّق فيها..

أهي طفلةٌ أو ملهاةٌ لكلِّ عابر حبٍّ ؟

أم أنَّها حين تكون بكامل طبيعتها وهو يتسلَّح بكامل رونقه يعدُّ ذاك إجباراً لها ؟؟؟

انهالت بكاءً ومسحت عن عينيها المفجوعتين بمنديل الاشمئزاز..

أبدت رفضاً قاطعاً أن لا قبول..

أضاف كرسيَّاً إلى أرائكه فليستْ كلُّ أنثى تستحقُّ أريكةً وهي لاتزال وليدة دقائق وكأنَّها محطَّةٌ نحو المجهول..

دوَّن على الكرسي : بدون وعدٍ...

24

وانطوت صفحةٌ من التَّعذيب للروح فقد اعتاد مسرحيَّات الحبِّ الهزليِّ ثمَّ هو الآن أصبح صاحب ثروةٍ واسعةٍ في الفشل يستطيع معه أن يقيم كلَّ احتمالاته..

أصبح اللاوعي طبيعته وعادة المرء إن زادت عليه طعونه أن يألفها حتَّى تصير عادةً لو لم يُطعن لربَّما طعن روحه كي يتأكَّد من وجوده حيَّاً وأنَّ شيئاً ما لم يتغيَّر..

مع اعتياده للطُّعون المهداة له كلَّما غازل الأنثى بلمحة جواره، لجأ إلى أطفال العالم لمن وسعتهم الحياة والتقوا بإناثٍ منحنهنَّ أطفالاً..

كان حين يتلمَّس أطراف طفلٍ كأنَّه في عبادةٍ مع البراءةِ وحالةٌ انسيابيَّةٍ تكتنفه ويصبح في حالة تعبُّدٍ خالصٍ..

يمرُّ عليه أصدقاؤه بإنتاجاتهم ويسلِّمون له أرواحهم الصَّغيرة في طفولتهم ويمارس معهم مهارة كيف أن تعامل طفلاً ليس من استطاعتك إيجاد مثله...

لم يمتلك إغماض عينيه ليلتها..

25

تعثَّر استنشاق أنفاسه.. سمع صوت أذان الفجر في الفضاء...

وزقزقة عصافيرٍ وشروق شمسٍ قد أطلَّ.. اتَّجه إلى عمله مختبئاً خلف نظَّارته السَّوداء فهو لا يريد رؤية أحدٍ ولا يرغب في تحقيقات رجال القانون عن أحواله...

التقى رجلاً تبدو على رأسه حكمة الحياة في أحكم مظاهرها...

داعبه.. هل أنت صاحب زوجة ؟

ابتسم له عالياً : وهل مثلي بلغ من الكبر عتيَّاً لا زوجة له..

أبدى سعادته بتفاعله معه وغرَّد له : أعلم سيِّدي ولكنَّني التمستُ حكمتك وهكذا أنت حتَّى في هزلك تبدو حكيماً..

وهل أنت صاحب زوجةٍ يا أليف ؟

أتمنَّى..

أبحثُ عنها..

أريد أن أضيف لشبابك حكمة الحياة لأنَّ لك عندي محَّبةً ابتدائيَّةً..

فتح عينيه وأذنيه، فحكمةٌ من شيخٍ حكيمٍ قد تنجو به إلى منتجع الأنوثة المفقودة فيه وفي زمانه...

بدَّل طريقة جلسته.. كان الحكيم أثناءها يسيغ نصيحته بشربة قهوةٍ بدون سكَّرٍ..

تنهَّد ثم نطق :

اعلم أليف أنَّ ما يسمى زواجاً ليس نعيماً وإنَّما هو مجموعة سجونٍ أنثويَّةٍ تطغى على الرَّجل فيغدو مكبلّاً بقيود الأنثى ويصبح من العسير عليه أن يعود حرَّاً طليقاً..

انظر للمحاكم العاطفيَّة وإن شئت فهي الهزليَّة فكلُّها بوادر شؤم على كون الرُّجولة.

نحن يا أليف حين اقترنَّا بالأنثى ربَّما كنَّا في حالة غيابٍ عقليّ حادٍّ في رجولتنا..

26

كان على المنضدة المقابلة رجلٌ آخر يبدو حديث اقترانٍ بالحبِّ والأنثى : اقترب منه وسأله هل من حقيقةٍ لما يقول ؟

ارتفع صوته متنهّداً أن ما يحكيه لك ذلك الحكيم ما هو إلا مشهدٌ مصغَّرٌ من مسرحيَّةٍ سيِّئةٍ...

فأنا لم أكمل شهرين وأنا كلُّ يومٍ في مشاجرةٍ مع الأنثى التي بها اقترنت..

ليتني ما آلفتها هي سيِّئةٌ حدَّ السُّوء..

سأطردها من رحمتي غداً سأقصد المحكمة لأزيلها من سبيلي..

بئس الذي صنعته لي..

هلّا لك أن تصاحبني حتى تفضَّ معي كربتي المؤنَّثة لا أريد أن أكون وحيداً ؟

نعم نعم سأكون معك..

لكن سيِّدي ألا من رجعةٍ عن حبٍّ دام ستِّين يوماً في حين أن هناك الآلاف حول العالم يتمنَّون حبَّاً ولو لساعةٍ..

لا لا لا.. إنَّها سيِّئةٌ..

27

في الصَّباح اصطحبه إلى قاعة المحكمة فوجد مجموعة أبوابٍ وكلُّ بابٍ له عنوانه..

فبابٌ لعنوان المقترنين الجدد ومحاطٌ بعددٍ كبيرٍ من المقترنين...

وبابٌ للإحسان والخير ولا أحد عليه..

وآخر عليه مجموعةٌ قليلةٌ..

وباب الانفصال المحاط برجالٍ لا عدَّ لهم ولا إحصاء...

سأل أحدهم لماذا تهمُّ بالانفصال عن أنثاك ؟

أجابه : لا أدري.. لا أريدها.. ثمَّ ابتسم له...

وآخر : لم ينطق إلا بنظرةٍ محميَّةٍ بنار الغضب...

أيُّ حياةٍ لرجالٍ يهشِّمون منازلهم كما بيت العنكبوت واهٍ...

28

وقف أليف مندهشاً أمام رجالٍ خاويةٍ وإناثٍ واهياتٍ...

ربَّما حين يحاول الاقتران بإناثه اللاتي لا حصر لهن كنَّ يعيدون له حسابات الرُّجولة القاسية...

وربَّما الحياة فوضى ولا مجال للاقتران مادام أولُّ الحبِّ محكمةً وآخره محكمةً ويصير مهزلةً..

أيُّ أحياءٍ أولئكم الذين يعني الحبُّ لهم التَّعاسة والمتاهة...

في لمحةٍ مع العذاب دقَّ نغم هاتفه ظهيرة اليوم التَّالي : إنه قرار الفصل من الشَّركة التي كان يعمل بها (هو وعشرون زميلاً) لأنَّ لعنة الاقتصاد العالميّ طالت الشَّركة...

وكأن من لا حبيبة له فكذاك لا وظيفة له ومادام ليس من أهداف حبِّيَّة له فلِمَ يدَّخر المال في بنوك صرَّافاته..

29

إنه لعبثٌ أن تلحقك الكوارث من ناحيتين : المادِّيَّة والمعنويَّة..

وكأنَّك في عالمٍ شعاره البياض أو السوداويَّة ولا يوجد بينَ بينَ..

إن التَّناقض في معتقداتنا شمل مساحاتٍ لا بأس بها من الرَّجعيَّة..

فتروق لنا نظرة الحسد للأعزب الذي لا أنثى له من حيث إنَّه لا مسؤوليَّات وراءه ليبدِّد الذي جمعه طوال نهاراته العابسة، وأنَّ الحياة تمضي معه جنَّةً على ألماسٍ ربَّانِيٍّ وأنَّ بيده فعل الذي يحلو له دون أدنى متابعةٍ أنثويَّةٍ...

في حين هو في حقيقته ينظر كلَّ صباحٍ لأولئك الذين أنعم الله عليهم بالاقتران بأنثى، وزاد الفضل بأن جعل لهم ذرِّيَّةً وحفدةً وهو يرى وليَّ أمرهم يدرجهم أمام مراتع العلم ودور العبادة، بينما مالُ الأعزب اللامبارك المشحون بنظرات الحسد من بلهاء الزَّوجية يبددهما عند أولِّ عيادةٍ نفسيَّةٍ وجلديَّةٍ...

وهل كان من العقل أن يبدِّد الذي جمعه لتأمين يوميَّات زواجه ومدارك وحدته..

كان حينها بعاصمةٍ دينيَّةٍ، قصد جامعاً شامخاً بالدُّروس الوعظيَّة وحين عكف إلى المحاضرة وكانت بعنوان : (وجعلنا لهم أزواجاً وذرِّيَّةً)..
جذب انتباهه الوحداويَّ عنوانٌ كهذا الذي يبحث عنه مادام عند رجلِ الدِّين..

الأجمل أنَّ كلَّ الحاضرين أو جلَّهم كانوا في خمسينات أعمارهم فهل كانوا يرغبون في ذرِّيَّةٍ أخرى أم شهوةٍ في جذب كلِّ متع الحياة التي حُرم منها الأعزب الصَّغير..

كيف سينتصر الإسلام بقومٍ شاخت سنونهم واستعرت شهواتهم النسائيَّة في لمحةٍ معيبةٍ على مدارجهم..

فسَّر الشيخ الموقَّر حديث (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوِّجوه إلا تفعلوه تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ كبيرٌ)...

قام أليف واعتدل في جلسته ونحنح بلعومه هاشَّاً بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الذي لاريب سيطفئ نيران أحزانه..

نطق الشَّيخ وهو يستاك أسنانه : لابأس فهو يُطيِّب مجلس الذِّكر الذي تحفُّه الملائكة وأشياخٌ امتلأت قلوبهم بحبِّ النِّسوة في كاهل أعمارهم...

نطق : إلَّا تزوِّجوهم تحدث فتنة النِّساء في قلب الشبَّان الجائعين من عواطف الأنثى..

فيسِّروا على أبنائكم وبناتكم كي نضمن مجتمعاً بلا بغايا ومجتمعاً بلا لقطاء..

30

نهض من مجلسه كتلميذٍ في مدرسة العلم الأوَّليّ ورفع سبَّابته إلى الشَّيخ الحكيم : أشار عليه أن قل ما بداخلك :

يا شيخنا في مدرسة الحياة لا وقائع لما تذكر سوى مسرحيَّة البنك والاشتراطات والتَّحدِّي ومواجهة غيرة أولياء الفتيات من زواج بناتهن وكأنَّنا في اغتصابٍ جماعيٍّ، أيُّها الشَّيخ أنا أتحدثُّ عن شباب هذا العصر المضطَّهد...

نعم المضطَّهد في عزوبيَّته وعالمه الانفتاحيّ وأفلام إباحيَّة تُبثُّ له من أمهر دول الأفلام وتَبثُّ له النيران الشَّهوانيَّة، وحين يتقدَّم لدرء فتنته وعصمة عفَّته المكتوبة يُواجه بالرَّفض القاطع والتَّشهير به ولا يَذكر أولئك الأولياء أنَّهم كانوا مثلنا يوماً وكانوا سيسقطون في وحل الفتن لولا زوجاتهن اللاتي أرضعنهن الحنان...

ثم ما فائدة سماع مواعظك أيُّها الشيخ ؟

فنهض رجلٌ ممَّن تبدو عليهم ملامح التَّعقُّل فظنَّ صاحبنا أنه سيزوِّجه ابنته وسينهي معاناته ؟

وأجاب : نحن هنا لنعرف عن تعاملاتنا مع الزَّوجات وربَّما اقترننا بأخرى فزوجاتنا الأول لم يعد في مقدورهنَّ احتواء رغباتنا وإمدادنا بالذُّريَّة...

ولنتعلَّم فنَّ تزويج البنات حتَّى نفرغ منهنَّ وتفرغ لنا السَّاحة من مصائبهنَّ ونتزوَّج بعيداً عن قربهنَّ المملَّ...

قام آخر ونطق :

أيُّها الشَّيخ كيف نزوِّج بناتنا إلا حين نستفسر عن الشَّباب في دائرة الشُّرطة والمحاكم ووزارة الدِّفاع وهيئة الهلال الأحمر السعوديِّ والصَّليب الأحمر وربَّما مجلس حقوق الإنسان والعرَّافين..

ونهض آخر ربَّما عليه آثار الفضل وقال :

يا شيخ إنَّ له عندي زوجةً وله حقُّ العفَّة فليمضِ إليَّ مساءً كي يرى رؤيته الشَّرعية مع فتاته التي بكى من أجلها، ولا أريد مهراً حاشا خاتماً من حديدٍ وأن يحافظ على ابنتي الوحيدة...

مشى أليف لمقام الرَّجل وقبَّله وذرفت عيناه بين لحيته وقدَّم له الشكر على جزيل امتنانه...

هنا ابتسم الشَّيخ فرحاً بما قدَّمه الرَّجل لابنه الجديد (زوج ابنته) وقال وبما أنَّ النَّتيجة تحقَّقت من اجتماعنا فنكمل في الغد بعد أن يتفقَّ العروسان وعلى شرط أن تذبحوا لنا جمل الحبِّ..

مساءً ذهب إلى دار الحبيبة في كامل شوقه وعظمة رجولته التي بدت له قريبة المنال

تقدَّمت له الفتاة، غير أنَّها كانت لا ترى فهي تقيَّةٌ محبَّةٌ لله غير أنَّ بها ابتلاء أن لا ترى الحياة...

مكث معها الحزين يثني عليها ويقدِّم لها العطف الذي طالما انتظره من أنثى له..

كانت تردُّ بهيبة العلماء والصَّابرات المحتسبات...

لا يدري كيف يحسن التَّصرف مع امرأةٍ هي من أولياء الله...

غير أنَّه لا يجيد التَّعامل مع حالاتها...

اعتذر لوليّها بحرجٍ بالغ الأسى...

لم يحضر مجلس العلم في اليوم التَّالي...

بم سيخبر الشَّيخ والحاضرين عن الرَّفض اللامحسوب فربما زاد ابتلاءً لوليها على ما هو عليه من ابتلاءٍ واحدٍ...

أضاف إلى أرائكه و كرسيِّه الأوحد محراباً وأسماه محراب الابتلاء...

31

حقيقة كان يحزُّه أنَّ أنثى لا ترى وأنَّ ابتلاءها ربَّما أكثر ابتلاءً منه، وأنَّه كان يتمنَّى لو كان بمقدوره أن يرعاها ويقترن بها.. بكت روحه وأغمض عينيه تمثيلاً لنائمٍ حقيقيٍّ..

فوضى اجتاحته في رغبته الاقتران بفتاةٍ.. فلم يعد قادراً على إدراك شعوره ولا عن معرفة الحكمة لوجوده بعد العبادة لله الخالق مادام لا وسيلة تقرّبه من الجنَّة ومادامت الحياة بخلت عليه بأنثى..

32

التقى سوريانا الكهرمانيَّة..

بَرق صُفرتها وأفرُع شعرها أسكنه فسيح أفراحه..

سال حبوره، فأن تلتقيَ أنثى بعد الشَّتات تلك لحظةٌ رائعةٌ لكلِّ مرجَلةٍ هائمةٍ..

هي من الشَّام المهضوم في عهد الغُثاء..

أوحت إليه أنَّ هناك نصيباً لا نعرفه..

غضب من أحرفها الماكرة..

اعتذرت إليه لطالما انتظر أن يرضيَ غروره..

لاقى نكهةً في اعتذار أنثى له بين ظلِّه تؤكِّد له رجولته..

فهو أصبح لا يثق في كنهه إلا حين تركع له أنثى تقديساً له..

قبل عذرها الأجمل..

رغب أن كلَّ يومٍ تعتذر له وتذنب، فما أجملها من ساعةٍ أن تعتذر أنثى عند مطلع رجلٍ مغيبٍ..

تحقَّق من سعرات الحبِّ بينهما.. كانت فرصته للولوج لعالم المقترنين بالحبِّ..

هو الآن يركض كطائرةٍ في عالم الجنون المحبَّذ..

يخشى زوال الحبِّ أو نكسته..

يريد التَّأكُّد أنَّه في واقعه وليس في حلمه..

سريعاً..

وبعد أن حمى حبَّه بأنَّها أنثى لا ترتدُّ عنه..

سيحدِّث عاداته وأعراف رجاله أنَّه تم العثور على أنثى تقدِّر حبَّه..

فهم لقَّنوه أنَّ من أحبَّته لا ضير إن جُنَّ وقصد دارها لإتمام الجنون..

في المساء بادر بالاتِّصال على شيخ أعراف رجالاته ومنحه موعداً لملاقاته كي يبثَّه سعادته..

فهؤلاء لا يمنحون رجولتهم حقَّ اتِّخاذ قرار في يوميَّاتهم إلا بعد توقيع قائدهم الفرعونيِّ.

33

دقَّت ساعة المساء وكان المطر قد انهمر على القرية كبشير خيرٍ له ولها..

سارع بالرَّكب ليلتقي شيخ القيادة..

قصَّ بين حضرته سموَّ الحبِّ...

وأنَّ سوريانا متكاملة الملامح له.. وأنَّها تسعه وتحتميه..

قال له : ابنة من ؟

أجابه : ابن الشَّام الرَّطب..

استنكر عليه : وهل نفدت إناث القرية كي تعبث بهنّ وتجلب شاميَّة الحياة ؟

ردَّ استنكاره : وهل كلّ بنات القرية كما هي سيدي ؟

أشهر بوجهه فأس الإبادة... أنهى طموحه بطعن العادة وعرف الجماعة.. لاقى مصيره في لحظتها... أعلن الرَّحيل ساعتها... كتب على تابوته : شهيد الشَّام.. وعلى قبره : شريد القرية.... وعلى سيرته : بئس المتجوِّل...

خاتمةُ المتاهةِ

يا من تصلِّي في جماعة المسلمين ألم تسمع نداء الله : إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله؟

لِم لا يطبقها كثيرون ولِم يتجاهلها كثيرون بينما لحاهُم خطَّت وجوههم ونقاباتهن خمرت أجسادهن؟

إنها دعوةٌ للعفاف قبل المعاناة : أحبكم في الله.

كلُّ لقيطٍ بدأ بإحدى طريقين : الأولُّ حزنٌ وتعاسةٌ وبؤسٌ ويأسٌ وفقدان أملٍ فلجأ للانحرافِ، الثَّاني ترفٌ متمدِّدٌ ومغامرةٌ قبيحةٌ وتسليات عهرٍ.

ويدفع الثَّمن من الدمِّ والعرض مجتمع لم يصنْ للشَّهوة حرمتها بحجَّة الوهم..

*** * ***

الفهرس

الإهداء 4

افتتاحية المناهة 6

المناهة ..... 7 – 63

الخاتمة 64

* * *

الكاتبُ في السطور

إسماعيل أحمد محمَّدي

- ليسانس التربية قسم اللغة العربية من جامعة الأزهر الشريف بالقاهرة 2008/2007م.

- قدَّم في المدينة المنوَّرة ومكَّة المكرمَّة وعبر القاعات الصوتية (أونلاين) دورته الشَّهيرة : (كيف تؤلف كتابا؟).

- مُدَرِّبٌ معتمدٌ من تقني مكَّة المكرمة وجمعية مراكز الأحياء.

- مُدَرِّبٌ معتمدٌ من المركز الدولي لتحفيز التفكير.

- مُصَحِّحْ لغوي سابق بصحيفة الندوة المكيَّة (مكَّة).

- مُصَحِّحْ وَمُدقِّق لغوي للكتبِ الأدبيَّة.

- درع التفّوق من تعليم مكة المكرمة.

- حاز المركز الأول في مسابقات اللغة العربية على مستوى مكة المكرمة.

- شكر وتقدير من مركز واعي لتطوير الشباب بالمدينة المنورة.

- صدرَ لي عن مؤسَّسةِ المعبرِ للثقافة والإعلام بالقاهرة كتاب : (من تفاصيلِ الروحِ).

- صدرَ لي عن دار العلومِ العربيَّة بالقاهرة كتاب : (أتبقى في الرفات؟) وهو مجموعة أدبيَّة تتضمَّن أربعة أقسام.

- صدرَ لي عن دار العلومِ العربيَّة بالقاهرة كتاب : (أنواف أليس لي نجواك) وهو رثاء.

- صدر لي عن دار بنت الزيات الأصيلة كتاب : (عسر الفراق) وهو للفرقاء العاطفي والقدري.

- صدر لي عن دار بنت الزيات المبدعة كتاب : (تاج العفاف) وهو رواية أدبية.

للتواصل مع الكاتب

واتساب : 00966563687705

e_mohammady@hotmail.com

أين تجد إصداراتنا

- **القاهرة:**
  - المقر: الجيزة دائري- نزلة شارع القومية العربية- برج النور - الدور 8
  - مكتبة عمر بوك ستور: ش طلعت حرب أعلى مطعم فلفلة.
  - مكتبة ليلى: ش جواد حسني متفرع من ش قصر النيل وسط البلد.
  - مكتبة ستيدج: ش المسلماني المنيل بجوار كوبري الجامعة.
  - أقلام عربية : ميدان طلعت حرب
  - فكرة : سيتي ستارز
- **الإسكندرية:**
  - مكتبة المعرض الإسلامي: ماكدونالدز – محطة الرمل.
  - مكتبة بيت الكتب: جيلم.
  - مكتبة الملاز: سابا باشا على البحر بجوار كلية الزراعة.
- **دمياط:**
  - مكتبة ألفا بيتيكا: بجوار صيدلية الأمل.

المنصورة:

- المكتبة العصرية: المشاية بجوار فندق مارشال.
- بيت القصيد: ش الإمان _ حي الجامعة.

الفيوم:

- كريتيف بوك ستور.

- **عين شمس**

- مكتبة لمحة

- **قنا**

- آدم بوك ستور , فاميلي مول

📖 **وتجدونها أيضًا أون لاين:**

على الموقع العالمي جوميا

www.jumia.com.eg

في كل مكان في العالم

وأونلاين على رقم 01142846211